استراتيجية القارئ الضمني في رواية "بماذا تحلم الذئاب" لياسمينة خضرا

The implicit reader strategy in the novel "what dreams wolves" of yasmina Khadra

الباحث عبد السلام لوبار *

أ.د. حفيظ ملواني♣

تاريخ الإرسال: 2019/08/24	تاريخ القبول:2019/11/19	تاريخ النشر:.2019/12/25

الملخص:

اهتمت نظرية التلقي بالقارئ عن طريق إثارة الأسئلة حول دوره في تشكيل النص ومعناه، فتجاوزت في طروحاتها المناهج التقليدية التي طبعت الدراسات النقدية ردحا من الزمن، وأصبح ظهور النص مرتبطا بقراءته تبعا لتحول وعي القارئ وتغير آفاق انتظاره حسب تباين المرجعيات الثقافية والسياقات المشكلة لهذه القراءة، وأصبح تاريخ الأدب سيرورة تلقٍّ وإنتاج جماليين يتم فيهما تفعيل النصوص الأدبية من قِبل القارئ المتأمل الذي يجد نفسه مدفوعا إلى أن ينتج بدوره، لذا سنحاول في هذه الورقة البحثية تطبيق طروحات "وولفغانغ إيزر" في تطوير نظريات الأدب من خلال تطبيق شبكات القراءة على النص السردي العربي، مع تجسيد مفاهيم جمالية التلقي لا سيما القارئ الضمني حتى تكون جزءا من مكتسبات النقد العربي يمكن للباحث استثمارها للوصول إلى معطيات جديدة غفلت عنها المقاربات السابقة.

الكلمات المفتاحية: القارئ الضمني، الواقعية، نظرية التلقي، التأويل.

المؤلف المرسل: عبد السلام لوبار loubar.laarbi@gmail.com

* جامعة علي لونيسي-البليدة 2. loubar.laarbi@gmail.com

♣ جامعة علي لونيسي-البليدة 2 melouani.hafid@yahoo.com

The theory of reception took a keen interest in the reader by raising questions about his role in the formation of the text and its meaning, went beyond the traditional approaches that marked critical studies for a period of time, and the emergence of the text has become linked to reading according to the shift of awareness of the reader and change the prospects of waiting, according to the different cultural references and contexts formed for this reading, The history of literature has become a process of aesthetic receiving and production in which literary texts are activated by a contemplative reader who finds himself motivated to produce his turn. We will try to apply iser's theses to the Arab narrative text, with the embodiment of aesthetic reception concepts especially the implicit reader in order to be part of the gains of the Arab Monetary researcher can invest to gain access to new data overlooked by previous approaches.

***Key words**: théory of reception, implicit reader, realism, herméneutic*

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

1. مقدمة:

تفتح نظرية القراءة آفاقا واسعة في مقاربة النص الأدبي بحكم استمدادها من خلفيات عدة، لا سيما تلك التي ارتكزت عليها المناهج النقدية السابقة عليها، ثم اتكاؤها على جانب منهجي مترامي الأطراف هو الهرمنيوطيقا، يستطيع معها القارئ الحصيف استجلاء مكامن النص والوصول إلى الحقائق المخبوءة فيه لتحقيق معرفة أوسع للحياة، ومن الموضوعات التي أهمَّت وعي الإنسان موضوع المحنة والإرهاب وكل ما تناولها من أدب وفنون، فارتأينا تطبيق شبكة القراءة على أحد النصوص التي تناولت هذا الموضوع، ونعني كتاب "بماذا بحلم الذئاب" لياسمينة خضرا، الذي تناول العشرية السوداء في الجزائر، أسبابها وتداعياتها على الجزائري، من خلال رصد مواقف أهم الظالعين بها، بحكم قرب الكاتب وظيفيا منها، لملء الفجوات النصية التي تخفي الخبايا المعرفية في النص، عبر جملة الاستراتيجيات النصية التي تخول الوصول إلى مجاهل النص، وفهم ما لم يقله صاحبه من خلال استثمار التأويلات الممكنة لكل ما تتيحه العلامات النصية المكوَّن منها، إنَّ الانفتاح على مثل هذه الأعمال يجرنا إلى التساؤل عن مدى مطابقتها للحقيقة التي يبحث عنها كل جزائري حول هذا الموضوع، وعن السبل التي تقودنا هذه النصوص عبرها لمعرفة

حقيقة الضباب الذي يلف العشرية الدموية التي مر بها الإنسان الجزائري، وعليه فإن تطبيق استراتيجيات القارئ الضمني المتعالي على النص من شأنه أن يكشف كثيرا مما يقوله النص والأهم ما لم يقله، عن طريق ملء فراغاته النصية.

2. السرد الجزائري والتلقي:

يفرض التعامل مع النص الأدبي جملة من المعارف والمهارات -التي أَصبحت في ظل اتساع نطاق الأدب وما تبعه من النقد النابع من صميم الفلسفات وتعدد المشارب –الأقرب إلى الاستثنائية، إذ يجب أن تمتح من التاريخ والفلسفة والتقنية وعلوم الطبيعة، هذا إضافة إلى المؤثرات التراثية العربية والأجنبية، ليقدر على مكابدة عناء النقد وإعادته إلى سِكَّته التي حاد عنها بعدما طغت عليه الذاتية وشابَهُ التحامل على النصوص تحت عدة مسميات، أهمها تعدد القراءات، كما اتخذت هذه النصوص ذريعة لمواكبة التجديد والخروج عن المألوف دون ضوابط تحت مسمى الحداثة أو ما بعدها كالتجريب أو التجنيس، وما نجم عنها من تراجع في الوعي الجمالي بسبب الجرأة على الكتابة دون إلمام بقواعدها أو تمرس في مزالقها، ثم لاتساع القاعدة الجماهيرية عن طريق النشر الإلكتروني، السلاح ذي الحدين الذي غمط كُتَّابا كثُرا قيمتهم ورفع شأو آخرين على حسابهم، هذه المشكلات لم تطرح بحدة في الساحة النقدية لأن هذا الأمر من شأنه تبطئة العملية النقدية، التي يسارع الشق العربي منها -تحت وطأة إحساسه بالتخلف- إلى التهام كل ما هو جديد خشية أن يتهم بعدم المواكبة، الأمر الذي أضاع كثيرا من حدود النقد والأدب معا، لذا أصبح لزاما علينا التوقف بل التراجع خطوة إلى الوراء لتصفية الواقع الأدبي والنقدي، والتماس بقية مما أنتجه المبدعون المعاصرون ممن شُهد لهم بالسبق في هذا المجال، وتتبع النشاطات القرائية لهذه العمليات الإبداعية من أجل رسم أطر واضحة تجمع بين اتباع القواعد والإبداع فرَجَع البصرُ على القراءات التي حظيت بها إحدى الروايات التي تناولت تيمة المحنة في الجزائر، وهي رواية "بماذا تحلم الذئاب؟" للكاتب "محمد مولسهول" الذي يكتب تحت اسم ياسمينة خضرا، النسخة المترجمة من قِبل الأستاذ عبد السلام يخلف، باعتبارها خاضت تجربة سردية جديدة من حيث تناولها لقضية الجزائر أيام الفوضى السياسية وبدايات الإرهاب، ونقل الواقع الجزائري في تلك الفترة المستعجلة مما وسَم الأدب الصادر في تلك الفترة أو عنها بِسِمة المحنة أو

الاستعجالية، التي بدأت على استحياء ووجدت اللغة الفرنسية المرتع الخصب لها لذلكَ عرفت هذه الأخيرة رواجا أكثر من نظيرتها المكتوبة باللغة العربية، بحكم صدورها عن دور نشر أجنبية للظروف التاريخية التي واكبتها، ثم للرقابة التي تمارسها دور النشر الجزائرية خاصة تلك التي ارتبطت بالمؤسسة السياسية، يضاف إليها ثقافة القارئ آنذاك التي تقبَلُ الرواية المكتوبة بالفرنسية، حتى لو كانت هذه الروايات مناهضة للاستعمار بل ثائرة عليه، ظهر ذلك في روايات آسيا جبار مولود معمري ومحمد ديب تلتها ثلة من الروائيين المعاصرين كرشيد بوجدرة، ياسمينة خضرا، بوعلام صنصال وغيرهم، وذلك لأن كثيرا منهم وجد الاحتفاء والشهرة في الكتابة بالفرنسية والاهتمام بالنشر الذي لم تكفله لهم دور النشر الجزائرية، وكذلك الصدى الإعلامي الذي قد يرشح الرواية لترجمتها إلى لغات عدة.

3.موضوعات الرواية الجزائرية وطبيعة التلقي:

لقد استمر رواد الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية من فترة الستينات إلى التسعينات في التعبير عن قضايا المجتمع والانحياز للثورة إلا أنَّ الانطلاقة الفعلية والحقيقية للرواية الجزائرية الناضجة بحق كانت مع عبد الحميد بن هدوقة وبالضبط مع رواية "ريح الجنوب" 1971، مما جعل مرحلة التسعينات توصف بالمرحلة التأسيسية للرواية الجزائرية والمتتبع للحركة الروائية الجزائرية، سيدرك أنه أمام تجربة حديثة وفريدة "عايش الثورة المسلحة ضد الاستعمار والثورة في مرحلة البناء والتحول الاجتماعي، هذا ما يعني أنه لم يكن أدبا محايداً أمام واقعة، بل عمل على تغير الواقع من خلال التزاماته بقضاياه، من خلال الواقعية النقدية التي تميز بها المرحوم عبد الحميد بن هدوقة في رواياته"[1].

أما فترة الثمانينات فقد استوعبت تجارب روائية تجديدية حيث بدأت موجة الخطاب الاشتراكي تنحسر وبدأت الكتابة الروائية تتخلص من هيمنة الأشكال القصصية القديمة التي كانت مسيطرة على الإبداع النثري مع تدارك عيوب التقرير والتسجيل نذكر بعض أعمال الروائيين الذين أبدعوا في هذه الفترة: واسيني الأعرج

الذي كتب سنة 1981 "وقع الأحذية الخشنة"... وقد انتقل رشيد بوجدرة من الكتابة باللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ليبدع في روايته الأولى "التفكك" 1982، و"معركة الزقاق"[2] 1986. وحذا حذوه أدب التسعينات إلا أنه سمي الأدبَ الاستعجالي كونه ولد نتيجة ظروف مفاجئة وعالج موضوع المثقف الذي طالته يدُ الأزمة بالدرجة الأولى وصورت الأحداث التي مرّ بها والآلام التي ألمَّت به مثل: رواية "بِماذا تحلم الذئاب" لياسمينة خضرا 1999، المكتوبة بالفرنسية، "ونمثل لنصوص الروايات في فترة التسعينات ومطلع الألفية الجديدة بروايات واسيني الأعرج "فاجعة الليلة السابعة بعد الألف"، و"رمل الماية" 1990...و"بوح الرجل القادم من الظلام" 2002، والبحث عن آمال الغيرين" 2004 لإبراهيم سعدي و"الحب في المناطق المحرمة 2000 لجيلالي خلاص، "وذلك الحنين" 1997 وتلك المحبة 2002 وتماسخت 2002 للحبيب السائح[3]، وقد انتخبنا لهذه التجربة رواية "بماذا تحلم الذئاب" لياسمينة خضرا من أجل دراسة وقع الاستجابة الجمالية وفق منظورات وولفغانغ إيزر للأدب والتاريخ الأدبي.

4. الاستجابة الجمالية عند إيزر:

4-1 استراتيجيات قراءة النص وفق منظور إيزر:

أسهم "وولفغانغ إيزر" بشكل كبير في تطوير نظرية القراءة من خلال صياغته لمفاهيم نوعية تحدد مسار العملية وتفتح الضوء على المعنى الذي ينتج عبر التفاعل المتبادل بين النص ومتلقيه، باعتبارها نقطة البداية لكل عملية قرائية، كون النص غير قادر على تحقيق وجوده دون هذا القارئ الذي يشكل بناءه عن طريق الالتحام والتفاعل معه، حتى تتم عملية الفهم وفق عدة إجراءات[4]:

- **القارئ الضمني:** يمثل مفهوم القارئ الضمني عند إيزر بنية نصية تتوقع متلقيا دون أن تحدده، إذ لا يكون لهذا القارئ وجود فعلي على أرض الواقع بل لا يمكن مطابقته مع أي قارئ[5]، ذلك أنه متجذر في بنية النص.

- **مواقع اللاتحديد:** تتمثل في الإشكالات النصية التي يبقيها النص مطروحة فاتحة المجال أمام القارئ للتفاعل معه، والتحاور حول كيفية بناء المعنى لتحقيق القيمة الجمالية المتوخاة من النص بعد سد مواقع اللاتحديد[6] لأن المتلقي هو من يكفل إثراء الدلالات النصية عبر ملء هذه الفراغات التي تشكل بالنسبة له إغراءً جماليا لابد من المشاركة في بنائه.
- **السجل النصي:** يتطلب كل نص عند الشروع في قراءته "سجلا نصيا" يضمن حدا من عملية التفاعل بين النص والقارئ هذا التفاعل الذي ينتج المعنى استنادا إلى إحالات أغلبها خارجة عن النص وسابقة عليه تساهم في صناعة سياق يشترك فيه القارئ مع نصه لتفعيل البنيات النصية وصناعة المعنى.
- **الاستراتيجيات النصية:** وهي القوانين التي تصاحب التفاعل للربط بين عناصر السجل النصي لترسم معالم موضوع النص ومعناه بمعية المتلقي، فيتحدد بذلك معنى النص وفقا للحدود التي ترسمها هذه الاستراتيجية.
- **مستويات المعنى:** لابد للمعنى حتى يتجلى من وروده عبر مستويات، إذ لا يمكن للنص أن يدرك دفعة واحدة بل يبنى بطريقة تدريجية من المستويين اللذين وضعهما أيزر ويراد بهما السياقات الخارجية والنص الأدبي[7]، ينضاف إليهما كفاءة القارئ وقدراته القرائية الملمة بهذه السياقات لبلوغ غاية المعنى.
- **وجهة النظر الجوالة:** هي نشاط مقصود من قبل القارئ يهدم فيه البنى النصية الأولية بفعل خبرته الجمالية وما يدخره من معايير تقييمية ومرجعيات فكرية؛ ليعيد البناء مرة أخرى لحظة فلحظة عبر المسارات التي يرسمها في النص بدءا بالبنيات الظاهرة وصولا إلى ما خفي منها متقصدا المرور بكل مرحلة لئلا يهمل أي جزئية مساعدة على فهم النص.

5.التجربة الجمالية في ملامسة الواقع الجزائري في فترة العشرية السوداء، رواية بماذا تحلم الذئاب لياسمينة خضرا:

عرفت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية والتي ترجمت بعدها إلى اللغة العربية إنتاجا سرديا يعكس واقع الشعب الجزائري، فكان الهدف من هذه الروايات المترجمة إبراز القضية الجزائرية على المستوى العربي وإيقاظ الحس الثوري أكثر من أنه مجرد حس أدبي ينقل إلينا. فكان ومازال قالبهم السردي يجمع بين فنية الأدب وواقعية الأحداث ومعظم المبدعين اتجهوا إلى النقل الحرفي للواقعية الحقيقية الجزائرية، وعليه ظهر مفهوم الرواية الاستعجالية أين كان الاهتمام برواية المحنة المكتوبة بالفرنسية وعلى ضوء هذا نشير إلى رواية "بماذا تحلم الذئاب" لياسمينة خضرا كموضوع لإبراز التجربة الروائية التي خاضها محمد مولسهول في ملامسته للواقع الجزائري خلال فترة التسعينات، على ضوء مفاهيم "إيزر" التي ظلت نظرية ومفرطة في المثالية شأنها شأن كثير من الدراسات ما بعد الحداثية التي حظيت بشق تنظيري لا يستهان به في مقابل نزر يسير من التطبيق سببه عدم وجود نموذج تجريبي صاغه رواد النظرية، لذلك سنحاول تجسيد بعض هذه المفاهيم النظرية لنتمثل مدى تحققها وإسهامها في إضاءة النصوص الأدبية.

أ-المسافة الجمالية للنص:

تشتغل أحدث الرواية على محور حياة شاب من العاصمة؛ "نافع وليد" والذي يحلم أن يصبح ممثلاً سينمائياً مشهورا يريد بناء مستقبله كباقي الشباب، ورغبته في التمثيل تولدت حين قام بدور صغير في مسلسل "أطفال الفجر" فكثيرا ما كان يردد: "أود أن أكون ممثلاً حتى آخر رمق مني أن أتحصل على شهرة تجعل مني أسطورة أكبر من مبالغتي"[8]، لكنه اصطدم بواقع فرضه عليه القدر، فأصبح سائقاً عند إحدى العائلات المهمة في البلاد (عائلة راجا)، وأصبحت الأحداث تأخذ نسقاً مغايراً بمجرد تقلده هذا المنصب، فقد تحولت الرواية شيئاً فشيئاً إلى رواية عنف ودم وقتل،

بالإضافة إلى وصوله مستوى العبودية مع ابنة عائلة راجا المتعجرفة ومتقلبة المزاج كلف أيضاً بمحو أثار جريمة اقترفها "جينيور" ابن عائلة "راجا" وطُلب منه التزام الصمت في قضية مقتل فتاة في سن الخامسة عشرة فجاء في قول أحد الخدم في بيت عائلة راجا: "أنا أكره الجاحدين يا نافع، لم تمر عليك سنة، كنت متسولاً في باب الواد ببطن فارغة مثل رأسك تماما جئت عندنا فرفعناك إلى مصاف الأثرياء...فجأة بسبب عاهرة في سن الخامسة عشرة حسبت نفسها في سن الرشد، ضيعت صوابك ولم تعد تعرف أصدقاءك ولا تفكر سوى في إنزال اللعنة بنفسك"،[9] هذا النوع من الأدب الذي لم يألفه القراء، يُجمع على أنه لم يتناول النمط التقليدي من الروايات لذلك فهو يخلق تلك المسافة الجمالية التي تقاس بمقاربة النص للأفق السائد الذي أجمعت أغلب القراءات على مفارقته، اللهم إلا قراءة المدون دواد جامع في مدونات الجزيرة على الأنترنت التي علق فيها على سطحية بعض القضايا الأساسية في الرواية، والسرد التقريري المشابه للتقارير العسكرية، بيد أنه أقر بأنها من الروايات التي يجب إعادة قراءتها من حين لآخر بسبب أن الحقائق تتكشف يوما بعد يوم إزاء موضوعها.

وداخل بوتقة الطرح الجديد وافق الكاتب وخالف كثيرا من وجهات النظر التي كانت ترى أن أسباب التحاق أفراد الشعب بالجماعات المتطرفة مرده إلى أسباب سياسية وتلك التي كانت ترده إلى أسباب شخصية مصلحية، أو أسباب انتقامية وسبب الصراع مع الذات وعدم تبين الطريق وعلى إثر هذا عاش بطل القصة "نافع وليد" ذلك الضياع حين قام أحد خدم عائلة راجا بضربه ضرباً مبرحا إلى أن فقد وعيه، "بقيت مسجوناً في غرفتي لأيام طويلة لا أصغي إلا لبكاء أمي المستميت، رافضا الأكل محصنا بابي، كان وجهي المهشم والكدمات على جسمي تشغل بال أفراد عائلتي" [10]، وضم إليه كثيرا من أسباب الانتقام والحقد على المجتمع.

وقد تزامن ذلك مع ظهور عقيدة حزب "الفيس"، وكان يدعو إليها "نبيل" أخو الفتاة التي أعجب بها نافع، لكن سرعان ما قتلت على يد أخيها نبيل أثناء مشاركتها في مسيرة

قامت بها النساء ضد الذكورية والابتزاز الأصولي، فهي "عذراء أخرى انطفأت تماما مثل شمعة في غرفة للموتى...صدمني موت حنان...لم تكن بالنسبة لي سوى أمنية لن تتحقق أبدًا"[11]، لتتشارك الخيبة العاطفية في النص مع خيبة التلقي التي تتوقع نهاية سعيدة، أو اختطافا أو غير ذلك عدا قتلها على يد أخيها.

ب-القارئ الضمني:

يمكن استثمار مفهوم القارئ الضمني الذي يوجه القراءة من خلال منافذ يفرضها المعنى الذي ينتج من ثغرات النص، يخبر النص متلقيه عن طريق وضع معطيات توجه عملية الفهم لديه وتساعده على التأويل دون الكشف عن المعنى، بل جعل الفهم بنية من بنيات العمل الأدبي، لذا سنرصد مختلف البنيات التي توجه الفهم في الرواية، إذ تتخذ من تيمة الإرهاب محورا لها، وقد وزعت الأدوار على مجموعات عديدة من الأفراد وعلى رأسهم "نافع وليد" الذي بدأت عقيدة "الفيس" تسيطر على تفكيره بعد أن وجد فيها الملاذ لحالة التشتت التي عاشها خاصة وأنها أعلنت العصيان المدني وبرزت الكثير من الجماعات التابعة لها مثل: جماعة الهجرة والتكفير الجناح الأكثر تطرفاً في الحركة، انضمَّ وليد إلى الحركة، وبعدها إلى التنظيم المسلح فقد تحول من فتى منعه ضميره من التستر على قتل فتاة إلى قاتل بلا ضمير، حيث يظهر هنا صراع داخلي في شخصية نافع بين قيمه النابذة للعنف وسذاجته التي فشل في تحقيقها في هذا الواقع قبالة تيار المكر فأصبح سادنا من سدنة القتل مع الجماعات الإرهابية المتصارعة المشكلة لأوركسترا الدماء في الساحة الجزائرية. فالكاتب يكتب لقارئ عايش التجربة الدموية أو سمع بها على الأقل حتى يستطيع تمثل هذه الأحداث خاصة عقيدة القتل المستمدة -حسب الكاتب- من فكر الأصولية الإسلامية والمتون السلفية "لابن تيمية" و"أبي الأعلى المودودي" التي غذت عقول الجماعة الإرهابية وخصوصا عقل "نافع وليد" الذي ضاق ذرعا بفساد أفراد عائلة "راجا" التي كان يعمل سائقا لديها. ومن جهة نظر المتلقي الجزائري المعايش لهذه الفترة العصيبة يظهر أن استئثار الطبقات الراقية وساكني نادي الصنوبر بالثروات جعل المجتمع ممثلا في

"نافع" ينقلب ضدهم بعدما كان يحلم بالتمثيل والشهرة والحياة، فأراد تغيير الواقع من خلال انضوائه تحت بنود جماعة متطرفة بدأت بتغيير شكله؛ إذ طلبت منه تغير مظهره الخارجي، "أتمنى أن تترك شعرك ينمو في شكل ضفيرة لك وجه جميل وعليه يجب الاستفادة منه"[12]، كما بدأوا بتعليمه الأسلحة النارية...إلى أن هُيِّئ للقتل بلا هوادة، "لقد قتلت أول رجل يوم الأربعاء 12جانفي 1994 على الساعة 7و35 دقيقة صباحاً كان محاميًا"[13]، لم يُنهِ نافع شهره مع الجامعة حتى "قدم له سفيان على طبق شرطياً سميناً إلى درجة أنه أفرغ كل محتوى خزان المسدس كي يتمكن من طرحه أرضًا"[14]، واصل نافع عمليات القتل حتى اكتسب امتيازات تؤهله إلى أن يكون قائداً إرهابياً تنفذ أوامره حرفياً حينها فقط "اكتشف نشوة السلطة والاحترام رأى ألا شيء أروع مما هو فيه"[15]، وكان انتقاله من رتبة مقاتل إلى أمير حدثا كبيرا بالنسبة له، وبسهولة سحر به فصار يأمر ولا يؤمر، "أمر نافع أبا تراب بجمع الرجال من أجل مهمة جوهرية

كم نترك من الرجال لحماية المعسكر

لا أحد

في هذه الحالة ما الذي نفعله بالسبايا

اذبحهن"[16]

فقد أصبح القتل منفذه الوحيد للتخلص من عراقيله، ونهاية الرواية بقيت مفتوحة بعد أن حاصر رجال الأمن **نافع وليد** ورجاله في أحد العمارات.

القارئ الضمني في النص ينضوي تحت دائرة الكاتب ونطاقه الإيديولوجي المروج لفكرة الإسلاموفوبيا، غير أن هذا يستدعي قارئا آخر هو القارئ المناهض لهذه الفكرة والذي يعلم بأن فكر الجماعات المتطرفة حدث نتيجة إجهاض المسار الانتخابي، مع ملاحظة الذكر السطحي لبنية هذه الأخيرة في الرواية.

6-التفاعل بين النص والقارئ:

إنَّ الموضوع الذي يسترعي الانتباه في أحداث الرواية أن معظم عمليات القتل والاغتيال التي تنظمها الجمعات الإرهابية كانت تستهدف المثقف الجزائري والأماكن العمومية التي يتواجد فيها الكم الهائل من الناس، "أحرقت قدرا من المدراس يساوي قدر المزارع، هدمت الجسور ودمرت المصانع، أقمت الحواجز المزيفة"[17] وهو الواقع نفسه الذي كان سائدا في تلك الفترة، فالمثقف الجزائري كان يعيش حالة رعب مهدد في كل لحظة من طرف الجماعات فكثيرا ما كان "وليد" يعترف: "لقد قتلت أول رجل يوم الأربعاء 12 جانفي 1994..."[18]، وقد كان محامياً أيضاً : "أول ضحاياه كان أستاذه الدكتور في الرياضيات..."[19] ، نتيجة هذا التفاعل يتشكل الوعي بالموضوع في الذات، ليعيد تشكيل كثير من المفاهيم السابقة المكونة عن النظرة التي أريد للجزائر أن تظهر بها في تلك الفترة، واشتراك طرفي النزاع في المأساة، ثم الصراع الذي بدأ بالتشكل في الوعي الجمعي للشعب حول المتسبب في هذه المحنة، أهو الطرف المدني أم العسكري، فإن الروائي يحاول تشكيل وعي جديد عن طريق كشف اللبس عبر هذه الاعترافات.

- **استراتيجية العنوان:**

ينفتح عنوان الرواية على أكثر من قراءة، بل لا يمكن استشفاف ما فيه من معان ولو بعد عدة قراءات فالعنوان "بماذا تحلم الذئاب؟" مشحون بكم من المعاني والعواطف بصورة لا تشبع نهم المؤول مهما دفعه استثماره إلى التأويل الباني للمعنى. "بماذا تحلم الذئاب؟" التركيب الاستفهامي للعنوان يضفي طابع الاستفهامية التأويلية التي تصبغ أي نص، من حيث خرق العنونة التي لا تأتي عادة استفهامية مما يفتح إشكالات أخرى، هل الذئاب تحلم؟ من المقصود بالذئاب؟ أهي الجماعات المطرفة الإرهابية؟ أم الأسرة التي سرقت أحلام نافع وليد ورمت به إلى أحضان هذه الجماعات، والتي تشرب دم بقية طبقات الشعب؟

إضافة إلى مفهوم الذئب الذي يحب أن يتمثله كل مدعٍ للسطوة والقوة والغموض والشراسة مما يوسع دائرة التلقي، فالذئب ينطبق على طوائف كثيرة في المجتمع الجزائري آنذاك ويعتبر كل منهم ذئبا، كما أن مفهوم الحلم ليس لصيقا بصفات القوة الموجودة في الذئاب وإن كانت بشرية، فالحلم يوسع أفق الرؤية العنوانية للنص بأن الأمر لن ينتهي عند العنوان ولا عند نهاية الرواية لذلك نجدها تختم بقول أحد أفراد الجماعة[20]:

-دين الرب! لقد حوصرنا كالفئران.

دون نهاية واضحة لواقعة المحاصرة، ما يدخلنا في شبكة من التساؤلات والفراغات التي على القارئ بناء المعنى من خلالها، والتي تجعل كل إجابة عنها ضمن نطاق المحتمل.

- **استراتيجية التناص:**

نجد في الرواية أحداثا تستنطق الواقع العنيف الذي عاشته الجزائر، من حضر للتجول وغيرها، "يتهاوى رجال الشرطة والصحافيون والمثقفون كذباب في الصباح الباكر، وقد تم حصادهم ولم يتجاوزوا عتبات بيوتهم، عويل الأمهات يغذي صياح صفارات الإنذار، عمليات الدفن، يضرب الموت في كل مكان...ضربوا أعناقهم على مرأى من العيون المطلة خلف زجاج النوافذ"[21] وأيضا: "كلما ذبحت منهم كلما جاءتني الرغبة في المزيد لا شيء يسكن ألمي"[21]. هذه المحاكاة الواقعية التي تتعالق مع أحداث الجزائر وتستحضر الأزمة لاستكشاف دوافعها ومكنوناتها ثم إعادة اكتشافها. لذلك رأى الروائي "أمين الزاوي" أن الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية "قرأت الأزمة بموضوعية أكثر من غيرها، فالأزمة ولدت وبشكل ظاهر وقوي جيلاً جديداً من الكتاب باللغة الفرنسية...إن لي تصورا خاصا عن الكتابة الروائية، التي عكست أو كتبت عن المأساة الجزائرية، وهي أن الرواية باللغة الفرنسية، هي التي فككت الظاهرة وقرأتها قراءة موضوعية[22].

وعليه أخذ الخطاب الروائي الجزائري يتغير تبعاً للحياة المتجددة بأبعادها وقضاياها، في إطار أشكال جديدة تبحث عن مضامين تثري حركية الخطاب، وبطموح إبداعي دخل "ياسمينة خضرا" الفضاء الروائي من خلال رؤية سردية تناولت أزمة الإرهاب دفعت بالرواية إلى الأمام من خلال تجربته حول تناول موضوع الإرهاب وفترة العشرية

السوداء والأحزاب السياسية والأفلان، فـ"مع الأفلان (جبهة التحرير الوطني) كان كل شيء مباحا لكنه متجاهل"[23]، وحزب الفيس الإسلامي الذي اغتُصب حقه في الفوز بالانتخابات، "لقد أعلن الفيس العصيان المدني"[24]. ولعل هذا ما احتاجته الرواية الجزائرية للتطوير من نفسها من أجل مواكبة تطورات الرواية العربية والغربية، كذلك "هي رواية تزاوج ما بين أسلوب الأدب البوليسي، الذي برع في كتابته ياسمينة، والأدب الروائي الفني القائم على واقعية قريبة من أدب أمريكا[25]، لقد فتحت هذه الأحداث العيون على الواقع فالأزمة الأمنية الدامية التي راح ضحيتها عشرات الآلاف من الأبرياء في العشرية أدخلت الروائي الجزائري في متاهات سرد الواقع مع رصد الدوافع التي كانت سببا في بروز فئة متطرفة رافضة للسياسة السائدة والأوضاع الاجتماعية المزرية كعدم توفر مناصب للعمل مثل ما رأيناه مع "نافع وليد" في الرواية، وهذا ما يساعد الروائي على حبك أحداث روايته فمن خلال الأسئلة المعقدة والأجوبة المتماهية في أسئلة أخرى لا تنتهي؛ يتشكل الخطاب الروائي الجديد.، الذي لم يخل كذلك من التناص الديني بدءا بشخصية جبريل عليه السلام الذي يستنجد به الكاتب بعد المصيبة، "ما الذي دهى الملاك جبريل حتى لم يمسك بيدي حين هممت بذبح ذاك الرضيع الذي كان يحترق بالحمى"[26]، إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وموضوع المديح النبوي "أنا على يقين بأنه سيتركني أغني مدائح الرسول صلى الله عليه وسلم في ظل الاحترام والسعادة"[27]، أثار استدعاء الملاك جبريل عليه السلام جوا من الفخامة والرهبة على أول مقطع في بنية الرواية التي تترسم خطوات القراءة المتبقية بين سطور الرواية، كما أن استدعاء القالب الإسلامي المنفتح على التأويلات يدخلنا في مباحث القدر والجبر واختيار عقيدة القتل عن ترصد أو عن جبر محتوم، حيث تتجاوز هذه الاستعمالات معانيها المعروفة إلى دلالات أخرى على القارئ التمعن فيها.

7. خاتمة:

كانت الأزمات تتوالى ولم يكن الروائي ببعيد عنها فقد شكلت مادته الخام التي انطلق منها ليعبر عن واقعه المتأزم، وانعكس هذا الواقع على تجربته الفنية الروائية

التي واكبت المرحلة وحاولت الاقتراب من الواقع لتفسير الأزمة، ولعل ما يفسر نزوع هذه المحاولات نحو التركيز على المضمون هو "العنف الممارس في حق المجتمع الجزائري والذي أدى إلى تولد نصوص استعجالية وعلى الرغم من سرعتها إلاّ أنها كانت فاعلة في تدوين ذلك التاريخ العسير، فتحاول تلك الإبداعات الموسومة بالكتابات الاستعجالية أن ترسم تمفصلات الألم والخوف وتعطي صورة معبرة عن الرعب"[28]، هذه الآداب التي ولدت من رحم المعاناة والتي يكتنفها الغموض مع رغبة في الاكتشاف والفهم من قبل القارئ عادة ما تتبوأ مكانتها في مصاف الأدب العالمي شأن كثير من روايات "دان براون"، و"آرثر كونان دويل" وغيرهم.

عرفت فترة التسعينات بخصوصية شديدة في تاريخ الجزائري نظرا للتحولات العميقة والاضطرابات التي عرفتها البلاد وشهدها العباد،

كانت هذه الفترة حافلة بالنصوص التي نحت منحى آخر في تتناول الموضوعات إذ راحت تحاول قراءة الأحداث قراءة موضوعية، فكانت نصوص هذه الفترة روايات العشرية الحمراء روايات العنف والإرهاب كما شهده الواقع الجزائري، وتعتبر من أهم النصوص التي تحتاج إلى تأمل وقراءة وتأويل من أجل إعادة بناء الفهم من خلال تشغيل آليات الهرمنيوطيقا وتطبيق آليات القراءة في هذا النص الذي يخبئ في ثناياه الكثير من المعاني غير المحددة والتي تحتاج إلى قارئ ضمني لتحديدها، خاصة في ظل التطور الحاصل في التاريخ وإعادة رسم معالم هذه الفترة بعيدا عن إكراهات الإيديولوجيا، ومصلحية التأويل.

والتعدد القرائي والتأويلي لهذه النصوص هو ما يمنحها خاصية عبور الزمان والمكان وهي إحدى الخصائص التي تمهد للرواية لتندرج ضمن الآداب العالمية، سواء من خلال النموذج الذي بسطه قراء "ياوس" المتعاقبين لإعادة كتابة تاريخ الأدب وتجنيسه، حين رصدنا جملة القراءات التي وضبت أدب العشرية السوداء في خانة الأدب الواقعي، ووسمته بميسم الاستعجالية، سيما من ناحية تناول الموضوعات التي تعالج المآسي البشرية وتعيش مع الطبقات الدنيا وتحكي واقعها وتضمد جراحاتها سواء كانت من وحي

الواقع دون إغفال الجانب التخييلي فيه. يعتمد هذا أيضا على مفهوم القراءة بمنظور إيزر حين يصنع القارئ معنى النص من خلال الاستراتيجيات النصية التي تدخل القارئ في محصلة تفاعل والنصَّ الأدبي الذي يقرأه مع صعوبة تطبيق هذه الاستراتيجيات التي تحمل طابعا تنظيريا، إلا أنَّا تحرينا وسعنا في تحديد صورها خاصة تلك المتعلقة بالقارئ الضمني كونه يسهم بشكل فعال في مقاربة الفهم الصحيح لمعنى النص.

8. الهوامش:

1- صالح مفقودة، الواقعية في الرواية الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، العدد 1، 2001، ص18.

2 - برهومة فاروق، عطية بلال : التجريب في رواية "العشق المقدنس" لعز الدين جلاوجي، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر تخصص أدب معاصر، جامعة العربي التبسي، تبسة 2016، 2017، ص18.

3 - المرجع نفسه، ص19-20.

4 - ينظر : سامي إسماعيل، جماليات التلقي دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياوس وفولفغانغ إيزر، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2002، ص111.

5 -ينظر: وولفغانغ إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب الأدبي، تر: حميد لحميداني والجيلالي الكدية، مكتبة المناهل، دط، المغرب، 1995، ص30

6 - عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2007، ص 223.

7 - ينظر : ناظم عودة، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، ط1، 1997، الأردن، ص154.

8 - ياسمينة خضرا، بماذا تحلم الذئاب، تر: عبد السلام يخلف، دار سيديا، مطبعة موفان، دط، 2014، ص40.

9 - المصدر نفسه، ص109.

10 - المصدر نفسه، ص111.

11 - المصدر السابق، ص163.

12 - المصدر نفسه، ص261.

13 - المصدر نفسه ص253.

14 - المصدر نفسه، 262.

15 - المصدر نفسه، ص335.

16 - المصدر نفسه، ص363.

17 - المصدر نفسه ص304

18 - المصدر نفسه، ص383

19 - المصدر نفسه، ص264.

20 - المصدر نفسه، ص383.

21 - المصدر نفسه، ص209-210.

22 -ينظر: حنفاوي بعلي، تحولات الخطاب الروائي الجزائري أفاق التجديد ومتاهات التجريب، دار اليازوري، دط، عمان-الأردن، 2015، ص214.

23 -المصدر السابق، ص 84.

24 - المصدر نفسه، ص129.

25 - المرجع السابق، ص 129.

26 - المصدر السابق، ص11.

27 -المصدر نفسه، ص 220.

28 - ينظر: الرواية الجزائرية المعاصرة(1990م-2011م)، وقائع سردية وشهادات تخييلة، وقائع الملتقى الوطني المنظم من طرف وحدة البحث في الثقافة والاتصال واللغات والآداب والفنون، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، 21-22 نوفمبر 2011، الجزائر.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊